تسلية أهل غزّة وكلّ مؤمن صابر مُنِيب ((أَلا إِنَّ نصْرَ اللهِ قَرِيبٌ))

2023-12-15

الحمد لله ذي العزّ المجيد. والبطش الشديد. المبدئ المعيد. الفعّال لِمَا يريد. المنتقِم ممّن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد. المكرِم لمن خافه واتّقاه بدارٍ لهم فيها من كل خير مزيد؛ فسبحانه من إله قسم خلقه قسميْن. وجعلهم فريقيْن. فمنهم شقيّ وسعيد. مَن عمل صالحا فلنفسه. ومَن أساء فعليها. وما ربك بظلاّم للعبيد. نحمده تعالى حَمْدَ مَنْ ظَنُّه في ربّه جميل. ونشكره شُكْرَ ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)). وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. وليّ المتّقين، ونصير المجاهدين الصابرين، كَتَبَ الْعِزَّةَ لأَوْلِيَائِهِ، وَالذِّلَّةَ عَلَى أَعْدَائِهِ، ووعد بالتمكين لحزبه الموحّدين، وبلّغهم بنصر دينه ذروة المجد في الأوّلين والآخرين، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفيُّه مِنْ خَلْقه وخليله، أرسلَه ربُّه ((بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)). واختار له خير العباد. فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، فاستشهد لله منهم مَنِ اِستشهد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم مَنْ توفي على الحقّ الناصع، والتوحيد الناصح، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

يَا أُمَّةَ المصطفى الْمَوْصوفِ في الكتب * وشائقين بمدح الطّيِّبِ الحَسَبِ

إنْ شئتُمُ أن تنالوا النَّجْحَ في الطَّلَبِ * وتَسْلَموا من شرور العُجْمِ والعَرَبِ

صلّوا على خيرِ مرسولٍ وخيرِ نبي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الأمين المأمون. وعلى آله أشرف القبائل والبطون. وصحابته الفائزين بنصرته على مَنْ سَبَقَهم في سائر الأزمنة والقرون. صلاة تبلّغنا بها المآرب والشؤون. وتفرّج ببركتها

عنّا الغموم والهموم والشجون. وتقض لنا بها جميع التبعات والديون. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. نقف اليوم مع آية من كتاب الله عز وجل. فيها بيان لسنّة من سنن الله العظيمة، سنّة كتبها الله على عباده المؤمنين. لا تبديل لها ولا تغيير، يرسم فيها طريق النصر والتمكين. ويُجلّي ما على جنبات هذه الطريق من الشدة واللّأواء. واليأس والبلاء، سنّة مضت بها حِكمة الله عز وجل على الأوّلين والآخِرين. يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ)). آية فيها تذكير وتثبيت. وتسلية ووعد. للعصبة المؤمنة المحصورة. المقهورة المرابطة. التي تموت دون دينها. ولا تعطي الدَّنِيّة فيه، وتُصاول عدوَّها الجبّار. دون عِرضها وأرضها وقضيّتها. وأقصاها وقُدسها وغزّتها. ولا تنتظر النصرة والنجدة إلا من ربها. في هذه الآية تذكير لهذه العصبة بما مسّ الجماعات المؤمنة قبلها. من البأساء والضرّاء. والزلازل الشديدة. وبصبرهم على كل ذلك. تأهّلوا للنصر. واستحقّوا جائزة الظَّفَر. فكان لهم مع الجنّة التي عبروا إليها. فيافي المكاره. والمخاوف والشدائد. أيّها المسلمون. ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة يوسف: ((حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُنجِي مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)). إنها آية أخرى تُجلِّي صورة رهيبة من لحظات الشدة والكرب والضيق. في حياة الرسلِ عليهم الصلاة والسلام. وأتباعِهِم مِن بعدِهِم. فالكفر يطغى ويبطش. ويغدر ويفجر. ويصول ويجول. والعصبة المؤمنة صابرة. متمسِّكة بالوعد الرباني. لا يزلزلها ضرب. ولا كرب ولا حرب. ولا ينال من نفوسها إرجاف المنافقين. ولا شنشنة العملاء المخذولين. بل يصبرون ويصابرون. رجاء النصر في هذه الدنيا. والشهادة في الآخرة. أيّها المسلمون. ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أسرع استدارة الزمان، وما أدنى

صورة هذه الحرب الأثيمة على أرض فلسطين. مع صورة غزوة الخندق. فقد كانت معركة الخندق في أصلها مكيدة يهودية. فهي أحزاب حزّبتها اليهود من خلال جَوْلات قام بها زعماء اليهود. وسادات بني النظير. حرّضوا فيها قريشاً وغطفان وكنانة. وسارت الجيوش المجيَّشة نحو مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. كل مَن فيها لا يبلغ عدد هذا الجيش الباغي. فيا لقسوة الكفر. وغدر اليهود. ومن غير إنذار مُسْبَق. تحرّكت تلك الجيوش التي جنّدتها اليهود. إلى المدينة الضعيفة المعزولة. فضربوا عليها الحصار الأثيم. وما أشبهها بهذه الحرب. حرب غزة. فقد كانت وقت الشتاء الشاتي. وكانت على جوع ومسغبة في المسلمين. وكانت لذات الهدف. تهدف إلى استئصال هذه القوة النابتة. والدعوة الصاعدة. وكان العدوّ بهذه التركيبة: يهود أنجاس. وعرب كفار. ومنافقون يرجفون في الداخل. ويبثّون الشكوك والمخاوف. ويطلقون الإشاعات. ويسخرون ويغمزون ويلمزون. ويكفيك من خبر جوعهم ما رواه أبو طلحة رضي الله عنه: ((شَكَوْنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع. فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين)). أيّها المسلمون. ويصوّر القرآن حال المدينة المؤمنة والعصبة الممتحنة. فيقول الله عز وجل في سورة الأحزاب: ((إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدً وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا))). أمّا المؤمنون الصادقون فما زادتهم هذه الأهوال والكروب إلا إيماناً وتصديقاً. قال تعالى: ((وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)). فالقلوب المؤمنة ترى النصر. كما ترى عيونها الصبح المتجلّي. تراه من وعد الله الصادق وعهده القديم. قال تعالى في سورة المائدة: ((وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ

حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)). فنصر الله قادم. ولا نشك في ذلك طرفة عين. بل نقسم على ذلك. فقد أخرج الإمام مُسْلِمٌ وغيره مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)). وأخرج الإمام أحمد وغيره عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ))، وللحديث شاهد من حديث أخرجه الطبراني عن مُرَّة بن كعب البهزي، رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لَا تَزَالُ طائِفةٌ مِن أُمَّتي عَلَى الحَقِّ ظاهِرِين على مَن نَاوَأَهُمْ، وَهُمْ كالإِنَاءِ بينَ الأَكَلَةِ. حتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللهِ وهُمْ كَذَلِكَ. قلنا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بأَكْنَافِ بيتِ المَقْدِسِ)). أيّها المسلمون. لقد قال الله تعالى وقوله الحق: ((أَلا إِنَّ نصْرَ اللهِ قَرِيبٌ)). ولكن المسألة مسألة امتحان للإيمان. وتمحيص للقلوب. قال سبحانه في سورة آل عمران: ((ما كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ). وقال تعالى: ((وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)). وقال سبحانه: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)). وقال في سورة العنكبوت: ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)). فمعظم معارك الإسلام كانت تكشف عن صنف من الناس مخبّئٍ في المجتمع المسلم. لا يَكشف حقيقته إلا الأيام الشديدة والأحداث الأليمة؛ فالبشرى لأهل غزة وجيش القدس. فكل كرب يعقبه نصر. يعز الله به المؤمنين. ويفضح به المنافقين. ويكسّر به شوكة اليهود الكافرين. فالثبات الثبات. فعندما تثبت القلوب لهذا

البلاء. وتصبر لتلك الشدة واللأواء، عندما يصمد الإيمان للنوازل المزلزلة. أو المصائب المجلجلة. تتمّ كلمة الله. ويتنزّل نصره. وتكون عافيته وستره. ((أَلا إِنَّ نصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ)). فنصر الله قادم. بنا أو بغيرنا. والمطلوب من كل واحد منّا أن يسعى ليكون سببا للنصر. أو مربيّا للجيل الذي يكون النصر على يديه. وخير سُبُل النصر: نصر الله بطاعته. قال تعالى في سورة سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))، اللهمّ أعنّا على القيام بواجب النصرة على الوجه الذي يرضيك عنّا. اللهم يا كاشف الضراء، ويا مجيب الدعاء. فرّج عن إخواننا في غزة، وارحم المستضعفين من المؤمنين في كل مكان. اللهم ارفع الذل والهوان والخذلان عن المسلمين، وأحيي قلوبهم بالإيمان واليقين، وردّهم إليك ردًّا جميلا، وانصرهم على أعدائك وأعدائهم. اللَّهُمَّ يا مَنْ بِيَدِهِ مَفاتِيحُ الفَرَجِ. فَرِّجْ عَنْ إِخْوانِنا. وَاكْشِفْ ما بِهِمْ مِنْ غمَّةٍ، اللَّهُمَّ يا عَزِيزُ يا جَبَّارُ. يا قَاهِرُ يا قَادِرُ. يا مُهَيْمِنُ. يا مَنْ لاَ يُعْجِزُه شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماءِ، أَنْزِلْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ عَلَى اليَهُودِ الصَّهَايِنَةِ، اللَّهُمَّ يا مَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الأُمُورِ، يا مَنْ يُغَيِّرُ وَلاَ يَتَغَيَّرُ. قَدْ اشْتاقَتْ أُنْفُسُنا إِلَى عِزَّةِ الإِسْلاَمِ، فَنَسْأَلُكَ نَصْراً تُعِزُّ بِهِ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ. وَتُذِلُّ بِهِ البَاطِلَ وَأَهْلَهُ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ